

## كتب بالإنكليزية

### الثقافة والسياسة وتشكّل

### الشتات اليهودي الحديث<sup>1</sup>

### Culture, Politics, and the

### Formation of a Modern Diaspora

Joel Beinin

Berkeley: University of California Press, 1998. 329 pages. \$45.00.

يتحدّى يوئيل بينين روايتين من روايات التاريخ اليهودي - العربي: الزعم الصهيوني "الذي يؤكد استمرارية الظلم والاضطهاد من أيام النبي محمد [ص] حتى زوال أغلبية الجوالي اليهودية العربية في إثر الحرب العربية - الإسرائيلية سنة 1948" (ص 14): "الادعاء العربي الشائع أن اليهود كانوا على الدوام يحظون بمعاملة جيدة في بلاد الإسلام" (ص 17). وهو يقوم بذلك من خلال دراسة تاريخ يهود مصر الحديث (الذين كان عددهم نحو 80.000 شخص سنة 1948) (ص 2)، ومن خلال التركيز على ثلاث جوال يهودية مصرية مهاجرة بالتحديد هي: خريجو هشومير هتسعير الصهيونيون، الذين استقروا بكيبوتسين في إسرائيل؛ الشيوعيون الذين انتهى بهم المطاف في فرنسا؛ القرأون الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة.

---

<sup>1</sup> المصدر: *Journal of Palestine Studies*, Vol. XXVIII, No. 3, Spring 1999, pp. 100-102.

وعلى الرغم من الفوارق الإثنية (عرب وأوروبيون)، والتراثية الدينية (سفاراد وأشكناز وقراؤون)، والطبقية، بين اليهود المصريين، فضلاً عن الانقسام بين اليهود الذين كانوا مواطنين والذين لم يكونوا كذلك، فإن بينين يجادل في أن "الجالية اليهودية، ككل، كانت تُشخّص [من قِبَل المصريين غير اليهود] بالثقافة الكونية (الكوزموبوليتانية)، وبالعلاقات التجارية الدولية، وبالجنسية الأجنبية للكثيرين من أعضائها الأكثر ثراء وبروزاً.... وبمدى ما كان اليهود، أسوة بغيرهم من المتمصرين [اليونان والإيطاليين والعرب السوريين] يُشخّصون بالتماثل مع المصالح والثقافة الأجنبية، فإن وضعهم تزعزع جراء إنهاء الحكم الكولونيالي" (ص 20). إن جمع بينين العشوائي كل اليهود كمتصرين إشكالي، لأن الكثيرين منهم لم يعتبروا أنفسهم، ولم يكونوا يُعتبرون، متمصرين. ومع أن بينين يحرص على هذا التمييز عندما يناقش تاريخ اليهود القرائين العرب، الذين يعيدون تاريخهم في البلد إلى الفتح الإسلامي، أو حتى إلى قبل ذلك، فإن التمييز لا يوضّح دائماً في مناقشات أخرى من الكتاب - الذي يُعتبر، عدا ذلك، دقيقاً جداً بالنسبة إلى الموضوع في قيد البحث، ويناقشه بدقة شديدة. لكن غاية بينين هي أن نهاية العهد الكولونيالي في مصر قادت "أغلبية أعضاء الجوالي المتمصرة [إلى مغادرة] مصر بعد سنة 1956، الأمر الذي يوحي بأن جزءاً كبيراً من الجالية اليهودية قد يكون ترك مصر في الخمسينات، سواء أكان هناك صراع عربي - إسرائيلي أم لا، وبصرف النظر عن أية إجراءات محددة اتخذتها السلطات المصرية ضد اليهود" (ص 21).

ويقدّم الكتاب عرضاً ممتازاً للصحافة اليهودية، وللبورجوازية اليهودية (وخصوصاً عائلات سواري وقطاوي وشيكوريل المشهورة)، وللنشاط اليهودي (الوطني والصهيوني والشيوعي). كما يقدم تحليلاً رصيناً لهجمات اللاساميين المصريين على

الجالية [اليهودية]. وكان الحدث الكبير الأول، حيث "طُفح كيل مناهضة الصهيونية إلى معاداة السامية"، في أعمال الشعب ضد اليهود في تشرين الثاني/نوفمبر 1945، التي "سلّطت الأضواء على هشاشة وضع الجالية اليهودية نتيجة الصراع بشأن فلسطين" (ص 65). وقد أعقب ذلك هجمات أخرى سنة 1948، بعد إقامة إسرائيل. ونتيجة هذه الهجمات، بدأ الكثيرون من اليهود بالهجرة. وعشية حرب 1956، بقي في مصر 50.000 يهودي (ص 70 - 71). ويذكر بينين نقطة مهمة، هي أن أولئك الذين غادروا كانوا، في أغلبيتهم، من الأشكناز، يليهم السفاراد، ومن ثم القراؤون. ويبدو أن بينين يعتقد أن الهجمات على اليهود كانت كلها، في الغالب، من عمل الإخوان المسلمين، مع أن البرهان على ذلك لم يُقدّم. إذ كانت جماعات أخرى كثيرة تحمل وجهات نظر تجاه اليهود شبيهة بتلك التي يحملها الإخوان المسلمون، ومن الممكن جداً أن تكون هي التي قامت بتلك الهجمات.

إن الحدث الكبير الذي أثار في الحياة اليهودية بعد سنة 1948 وقبل سنة 1956، كان "عملية سوسانا" التي قامت بها إسرائيل، إذ فجرّ يهود مصريون صهيونيون، يعملون جواسيس لإسرائيل، عدداً من المواقع في البلد. وعندما حوكم "الإرهابيون" (ص 19) في كانون الأول/ديسمبر 1954، شنت إسرائيل ومؤيدوها الغربيون حملة كبيرة ضد محاكمتهم، متهمين مصر باللاسامية. وفي فترة العدوان الثلاثي على مصر، سنة 1956، كان وضع اليهود قد أصبح غير مستقر إلى حد كبير؛ فقد اعتقلت الحكومة المصرية 1000 يهودي (500 منهم كانوا مواطنين)، وعدداً كبيراً من الأجانب، كما أبعدت كثيرين من الأجانب، اليهود وغير اليهود. ويدّعي بينين أنه، عندما توقفت الحرب، "أخضع اليهود لضغوط غير رسمية لمغادرة مصر والتخلي عن مواظنتهم. وفي آذار/مارس 1957، كان ترك البلد ثلث أفراد الجالية اليهودية المتبقية فيه، وقد ترك

هؤلاء أرصدتهم وراءهم، ووصلوا إلى إسرائيل مفلسين" (ص 87). لسوء الحظ، لا يفصل بينين طبيعة هذه "الضغوط". وبقي في مصر 6000 يهودي فقط عشية حرب 1967 (ص 88). ويدعي بينين أن ما بين ثلث ونصف عدد اليهود المصريين ذهب إلى إسرائيل (مع أن أغلبية ذوي الموارد الكافية الذين يمكنهم الاختيار لم تذهب إلى هناك) (ص 21)، بينما ذهب الباقون إلى أوروبا والأميركتين.

يخطئ بينين، في تقويمه لدفاع الحكومة المصرية ووسائل الإعلام ضد الدعاية الإسرائيلية، المصريين بشأن مساواتهم الصهيونية بالشيوعية، الأمر الذي، بحسب قوله، أعطى صدقية في الغرب لاتهامات إسرائيل المتعلقة باللاسامية المصرية الرسمية. ومع أن بينين يعترف بأن هذه المساواة كانت تقوم على "حقائق متساوقة بشكل سطحي"، مثل عدد اليهود الشيوعيين غير المتكافئ مع عدد اليهود الإجمالي في مصر، و"قوة الصهيونية الاشتراكية في إسرائيل"، ودعم الشيوعية السوفياتية والدولية لإقامة إسرائيل، فإنه يعتبر المساواة دعاية قام بها بعض العرب والمصريين للحصول على دعم غربي (ص 100). لكن بالنسبة إلى العرب المناهضين للشيوعية، كانت هذه حقائق متساوقة بعمق. فبالنسبة إليهم، كما بالنسبة إلى أغلبية المناهضين للشيوعية في أوروبا والولايات المتحدة، كان الفارق الأيديولوجي بين "الاشتراكية" من نمط الكيبوتس وبين "الشيوعية" ضئيلاً فعلاً.

ويجد بينين صعوبة في إثبات أن هنري كورييل، أحد أبرز الزعماء الشيوعيين المصريين، لم يكن صهيونياً. إذ إن كورييل، الذي كان يحمل الجنسية الإيطالية حتى بلوغه سن الرشد سنة 1935، والذي لم يجد اللغة العربية قط (ص 143)، أبعده إلى فرنسا على أنه "أجنبي" سنة 1950. ويدعي بينين أن اتهام الشيوعيين المصريين غير اليهود لكورييل ولعدد من أنصاره بأنهم كانوا "يهوداً يؤيدون تقسيم فلسطين بحماسة

أكثر مما يستطيع أي مثقف عربي أن يجنّد من طاقة"، يعرّض المتهمين "لاتهامات باللاسامية أو بعدم التزام الأممية" (ص 152). ومع أن عناصر معادية للسامية في الحركة الشيوعية قد تكون ساهمت في هذا المفهوم، فإن ادعاء بينين أنه "لا يوجد دليل على التعاطف السري لكورييل وأنصاره مع الصهيونية" (ص 146) مبالغ فيه. فالدلائل التي يقدمها بينين نفسه تظهر أن كورييل ربما كان متعاطفاً مع الصهيونية. وعلى سبيل المثال، أقام كورييل وأنصاره في فرنسا (الذين عرفوا بـ "مجموعة روما") اتصالات بأعضاء من الحزب الشيوعي الإسرائيلي سنة 1955 "بهدف تشجيع الحوارات" لحل الصراع العربي - الإسرائيلي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مجموعة روما، بحسب بينين، لمّحت إلى أن أغلبية "الشيوعيين غير اليهود كانت أقلّ اهتماماً بكثير من كورييل ومجموعة روما بحل الصراع

العربي - الإسرائيلي" لأنها، بحسب الادعاء، لم تُرد قطع العلاقة بعبد الناصر (ص 158). ويناقش بينين أيضاً تاريخ مجموعة كورييل بعد سنة 1967، عندما عمل أعضاؤها "وسطاء سياسيين وثقافيين" بين العرب وإسرائيل (ص 164 - 178). ومع أن بينين يمد القارئ بطيف كامل من التفسيرات **المقنعة** لماذا كان كورييل ربما أكثر اهتماماً بالسلام العربي - الإسرائيلي، فإن الحجة الوحيدة التي يرفض أن يعالجها هي أن كونه يهودياً ربما كان عاملاً في ذلك. من المؤكد أن الإيحاء بأن اليهود كلهم يجب أن يكونوا صهيونيين بسبب يهوديتهم هو ضرب من اللاسامية، لكن لماذا يكون لاسامياً بالضرورة القول إن لبعض اليهود تعاطفاً مع الصهيونية لأنهم يهود؟

إجمالاً، إن هذا الكتاب هو إضافة ممتازة إلى الأعمال القليلة عن اليهود المصريين أو عن اليهود العرب بصورة عامة. ومع أنه يحتوي مناقشات نظرية قصيرة ومفاجئة، تبدو أحياناً في غير موقعها، فإن العناية الدقيقة والسياق اللذين تُقدّم بهما

الحجج يجعلانه فريداً في الأدبيات. وسيجده رجال العلم والطلاب المختصون بشؤون الشرق الأوسط، وكذلك القراء المعنيون، ذا فائدة كبيرة.

**جوزيف مسعد**

مساعد رئيس تحرير مجلة

*Journal of Palestine Studies*

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>